

المحاضرة الخامسة موسيقى الأرجوزة

أولاً: تعريفها

أ- لغة: الرء والجيم والزاي أصلٌ يدلُّ على اضطرابٍ. من ذلك الرَّجَزُ: داءٌ يصيبُ الإبلَ في أعجازِها، وهو ان تَضْرِبَ رجلَ البعير أو فخذاه إذا أراد القيام أو ثار ساعة ثم ينبسط، وقد رجز، فهو أرجز، الناقة: ضعيفة العجز، إذا نهضت لم تستقلَّ إلا بعد نهضتين أو ثلاث¹. ومنه سمي الرجز من الشعر لتقارب أجزائه وقلة حروفه.

ب- اصطلاحاً: الأرجوزة فن من فنون الادب العربي، ترد على بحر الرجز، وهو من الأوزان الصافية، حيث تتكرر فيه تفعيلة واحدة هي (مستفعلن)، وهو شعر يسهل في السمع ويقع في النفس لخفته، حتى سمّاه النقاد حمار الشعر؛ لأنَّ كلَّ شاعر يستطيع ركوبه لسهولته، فهو يرد على أشكال متعدّدة، ويجوز فيه تغييرات كثيرة.

ثانياً: أنواعها:

1- التام: وزنه التام هو: ومنه أرجوزة نور الدين السالمي في جوهر النظام في علمي الأديان والاحكام

من أدب السؤال للعفيف أن يسأل العالم كالضعيف

2- المجزوء: من نحو أرجوزة شوقي ضيف أرجوزة المشهورة، والتي مطلعها:

لي جدة ترأف بي أحنى علي من أبي

3- المشطور: ومثاله أرجوزة لحافظ ابراهيم يقول فيها:

تحية كالورد في الأكمام

أزهى من الصحة في الأجسام

يسوقها شوقي إليكم نامي

تقصر عنه همة الأقلام

4- المنهوك: وهو ما كان على تفلتين، ومنه أرجوزة أبي نواس المشهورة التي يقول في احداها:

ما خاب عبد سألك

أنت له حيث سلك

لولاك يارب هلك

إلهنا ما أعدلك

ملك كل من ملك

لبيك قد لبيت لك

ثالثاً: قافية الرجز: ينقسم الرجز الى ثلاثة اقسام بحسب قوافيه وهي:

1 - الرجز العامودي :

وهو كما في القصيدة العربية القديمة² بحيث يكون البيت الاول مصرعا وبقية القصيدة موحدة

القافية فقط في الشطر الثاني كما في قول ابن عبد ربه الاندلسي في قصيدته (لم أدري):

ام شمس ظهر اشرفت لي ام قمر

حتى كأن الموت منه في النظر

الاسهام الطرف ربست بالحوار

لم ادر جني سباني ام بشر

ام ناظر يهدي المنايا طرفه

يحيي قتيلاً ما له من قاتل

¹ - تاج العروس، ج15، باب الزاي.

² - وهناك الكثير من الامثلة والشواهد الشعرية على هذا النوع من القافية في الشعر العربي لالتزام اكثر القصائد العربية القديمة والحديثة بهذا النوع من التقفية.

2 - الرجز ذو الشطر الواحد : وتكون فيه اشطر القصيدة بالقافية نفسها، بحيث تكون القصيدة كلها بصدر البيت وعجزه تنتهي بالقافية نفسها ؛ فتكون بذلك كل الأبيات مصرعة بالقافية نفسها ومثال ذلك قول المتنبي³ :
ومنزل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات الهطل
ذوي الخزامي دُفِرِ القرنفل محلل ملوَحش لم يحلل

3- الرجز المزدوج :

وهو النوع الذي يكون كل بيت مصرعا، أي صدر البيت وعجزه بالقافية نفسها ولكن كل بيت من القصيدة له قافية مستقلة بذاته مع التزام القصيدة كلها بالبحر نفسه (الرجز)⁴. ومن أمثله قول الوليد بن يزيد بن عبد الملك في خطبة الجمعة على بحر الرجز المزدوج⁵ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَوَلِيِّ الْحَمْدِ أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَالْجَهْدِ
وَهُوَ الَّذِي فِي الْكَرْبِ أَسْتَعِينُ وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ قَرِينُ
أَشْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَمَا سِوَاهَا أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِلَّا هَا

رابعا: تطور الارجوزة:

قال بعض الرواة أن الرجز جاء قبل الشعر، وقال بعضهم أن الشعر في الأصل كان رجزا، حتى كان المهلهل وامرؤ القيس راجزين، ثم حولاه إلى قصيدة.

وقد كان في بداية الأمر عبارة عن مقطعات بسيطة تجري على ألسنة الناس، ثم انتقل شيئا فشيئا من المقطعات إلى الأراجيز، فكان يستخدم بكثرة في العصر الجاهلي، حتى صار كالوزن الشعبي الذي يدور على كل لسان، ومن أجل ذلك لا نجد شعراء الجاهلية ينظمون فيه، فكأنما تركوه للجُمهور، فينظمها كثيرون معروفون ومجهولون، حين يحدون ببعير وحين يتناولون أي عمل كحفل بر أو متح منها.

ثم لقي الرجز عناية خاصة في العصر الأموي، فتطور الشعر العربي، وأصبحت الارجوزة منه خاصة تؤلف من أجل حاجة المدرسة اللغوية، وتعدّ الارجوزة الأموية أول شعر تعليمي ظهر في اللغة العربية، حيث كانت عندهم رغبة شديدة في العناية بالغريب لدى كثير من الشعراء، وهو اتجاه تعليمي دعت إليه عناية الأجانب بتعلم العربية ونهوض طائفة من العلماء بجمع اللغة وشواردها. وقد انبرى العجاج، وابنه رؤبة، يجمعان في شعرهما هذه الشوارد، حتى تحول ديوانهما إلى معجمين للغرائب اللغوية.

ثالثا: القصيدة والأرجوزة:

1- الفرق بينهما:

الأرجوزة هي غير القصيدة؛

1- الرجز مخصوص بالعامية، فهو فنّ من الفنون الشعبية، في حين أنّ القصيدة مخصوصة بالشعراء.

2- خصّ الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراهما، وباسم القصيدة من الشُّعر: ما تمّ شطر أبياته، سمي بذلك لكمالهِ وصحة وزنه.

3- الرجز ما كان على بيت أو بيتان، أما القصيدة فيشترط فيها كثرت الأبيات، وقد يصير الرجز قصيدا حينما تكثر أبياته فيطول، ولذلك لا يمتنع أن يسمّى ما كثرت بيوته من مشطور الرجز ومنهوكه قصيدة.

³ - وهي قصيدة يصل عدد أبياتها 65 شطرا تنتهي بالقافية نفسها قالها يصف كلبا لابن ملك عندما ذكر ذلك ابو علي الادراجي.

⁴ - ينظر : موسيقى الشعر. د. ابراهيم انس. دار القلم. بيروت - لبنان. ص152.

⁵ - ينظر فصول في الشعر ونقده. د. شوقي ضيف. دار المعارف. ط 3. ص 35 - 36. ومن هذا النوع من الأراجيز ارجوزة الفية بن مالك والتي وصلت الى اكثر من الف بيت على نوع الرجز المزدوج.

4- يقوم الرجز على البداهة والارتجال، فهو لم يقصد إلى إقامته على هذا النحو، أمّا القصيدة فقد اشتقت من قصدت إلى الشيء، كأن الشاعر قصد إلى عملها على تلك الهيئة، وقد تسمى الأراجيز قصائد، حين يقصد عملها على ذلك النحو، أي يقصد إطالتها قصداً.

2- دواعي التفريق بينهما: لقد دعا العرب إلى التفريق بين القصيدة والرجز داعيان هما:

أ- **الداعي الديني**: لقد ورد عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلاماً على وزن الرجز، حيث رُوي عنه أنه في حفر الخندق قال: هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فهذا من المشطور، وقال عليه ﷺ: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وبما أنّ الرسول لم يجر على لسانه الشعر، فما هو بشاعر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ (يس: 69)، فقد أخرج الخليل الرجز المشطور والمنهوك من أوزان الشعر، لأنهما - حسب رأيه - مجرد أنصاف مسجعة. وقد جرى الأخفش ومعظم العروضيين الخليل فيما ذهب إليه، وخالفهم في الرأي الزجاج⁶

ب- **الداعي الثقافي**: نظراً لأنّ الرجز كان من تأليف العامة، فهو لا يخضع للقوانين الصارمة التي يخضع لها الشعر أو القصيد، فإنّ الشعراء لم يقبلوا على أنفسهم أن يسوّى الرجز بالشعر، ولا الرجاز بالشعراء، ولهذا أخرجوا الرجز من دائرة الشعر وجعلوه فناً من الفنون الشعبية، وفي هذا الشأن يُروى عن أبي عبيدة قوله "قال منتجع بن نبهان، قلنا لذي الرمة: يا أبا الحارث، بدأت وأنت تقول الرجز ثم تركته. فقال: إني رأيتني لا أقع من هذين الرجلين موقِعاً. فعولت على الشعر"⁷ بل كان الرجاز أنفسهم يدركون أنهم غير شعراء وأن رجزهم لا يمكنه أن يصعد الجبل المنيف الذي يجلس على قننه الشعراء، فقد روى صاحب الأغاني في أخبار ذي الرمة مع هشام المرئي الرجاز، قال "وكان ذو الرمة مستعلياً هشاماً حتى لقي جرير هشاماً فقال: غلبك العبد يعني ذا الرمة، قال: فما أصنع يا أبا حزره وأنا راجز وهو يقصد والرجز لا يقوم للقصيد في الهجاء

⁶ - وقد جعل من الشعر حتى قول القائل: موسى القمر غيث زجر يحيى البشر

⁷ - الموشح، ص 60. قال أبو عدنان: فقلت لأبي عبيدة: من يعني بالرجلين. قال: والله ما سألت، وما خفي عليّ؛ أظنه يعني العجاج وابنه". ويعلق أبو عبيدة قائلاً: "كان لذي الرمة رجز فلما خشي أن يعره عاد إلى القصيدة"